الشك لا يهدى

للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى

— ١ —

رأيتُ الهدى فى الشكّ والشك لا يهدى
كأنىَ بالظلماء قد كنتُ أستهدى

فطوراً أقول الروح كالجسم هالك ... وطوراً أقول الهُلكُ عنه على بعد
فيالك من شك يبرّح بى ولا ... يبارحنى حتى أوسّدَ فى لحدى
وإنىَ لا أدرى أرشدىَ كان فى ... ضلالىَ هذا أم ضلالىَ فى رشدى
أأفقد جسمى وحده عند ميتتى ... أم الروح مثل الجسم يشمله فقدى
أروحٌ وجسمٌ أم هو الجسم وحده ... يحرّكنى فيما يضلّل أو يهدى
أعذّب حوبائى بما أنا فاكرٌ ... كأنىَ من أعداء حوبائىَ اللدّ

— ٢ —

إذا كان روحى مثل جسمىَ يهلك ... فانى لأبكى فى مصابى وأضحك
ولو خيرونى بين تركى لواحد ... فانى لجسمى دون روحىَ أترك
يحرّك روحى الجسمَ وهو يحلّه ... فمن ذا لهذا الروح فىّ يحرّك
وقبل وجودى أين كان مكانه ... فهذا هو الشىء الذى لستُ أدرك
وقد يستطيع الروحُ حلاّ لمشكلى
ولكن مجالُ الروح فى الجسم يضنك
وأطلب من عقلى الهدى فى ضلالتى
ومن أين يعطى العقلُ ماليس يملك
دع الموتَ يأتى فتكه بهما معاً ... كما كان هذا الموت بالناس يفتك

— ٣ —

عهدتك يا روحى إلى الحق تجنح ... فهل بجواب إن سألتك تسمح
تقول سأبقى بعد موتك خالداً ... أأنت تريد الجدّ أم أنت تمزح
فان كان جداً ما تقول فما الذى ... ستصنع بعدى يومَ منى تبرح
تجيب وقد يُغرى جوابك قائلاً ... سألحق أرواحَ الذين تطوحوا
وإن الفضاء الرحبَ ما زال طافحاً ... بأرواح موتى فى السموات تسبح
فقلت له سر فى سبيلك راشداً ... ولا تنس جسما ليس بعدك يصلح
فيا روح قبّلنى وصافح مُودّعاً ... فانىَ لا أدرى متى لك ألمح

— ٤ —

نهارٌ لسيل النور فيه دفوق ... وليلٌ كأن النجم فيه خروق
ألوفٌ من الأكوان تقصو كأنها ... تريد اتساعاً بالفضاء يليق
وعند افتكارى فى الوجود كأننى ... أخوض خِضماً والخِضمُّ عميق
طريقى لإدراك الشؤون معبّدٌ ... ومالى لإدراك الوجود طريق
فيا نفس سيرى فى الفضاء طليقةً ... فلا شىء فيه للنفوس يعوق
لأنتِ شعاع طار من مستقرّه ... وكلُّ شعاع بالبقاء خليق
تحيق المنايا بالجسوم كثيفة ... وأما بأرواحٍ فليس تحيق

— ٥ —

يقولون إن النفس حقٌ وجودُها ... فلا ينبغى إنكارها وجحودها
وبعد الردى تطوى السماء خفيفةً ... وإن بعدت فى اللاتناهى حدودها
وما الجسم إلا دولة مستقلة ... لها حكمُها فى أهلها وجنودها
وما أهلها إلا خلايا صغيرة ... وما النفس ذات الحول إلا عميدها
وما هى إلاّ ومضةٌ من شعاعة ... فان خلدت ما كان بدعاً خلودها
فقلتُ لهم هذا جميلٌ وعله ... خيالاتُ عقلٍ شاردٍ لا أريدها
ولم يكن الانسان إلاّ ابن غابةٍ ... على فُجأةٍ قد أنجبته قرودها

— ٦ —

سيطفئ يأسى فى المشيب حياتى ... واذهب من نور إلى ظلمات
ويحملنى صحبى إلى القبر إننى ... به بعد حين لست غيرَ رفات
تقطّعُ أوصالى وتبلىٰ جوانحى ... وليس بوسعى أن أبثّ شكاتى
وأجملُ بأيام الصّبا فهى لم تكن ... على الفم من دهرى سوى بسمات
ولكن أيام الصبا قد تصرّمت ... ولم تبقِ ذكراها سوى الحسرات
وفارقتُ أيامَ الشباب حميدةً ... وإن كثرت فى عهده عثراتى
قضيت شبابى مُطمئناً وبعده ... أتى الشيب منهوكاً من الشبهات

— ٧ —

من الموت مهما مضّ لستُ بخائف ... ولكن وراء الموت ماذا مصادفى
خضعتُ لعقلى فى حياتىَ كلها ... وما كنت يوماً خاضعاً لعواطفى
وكنت إلى لمس الحقائق نازعاً ... أنزّهُ سمعى من سماع السفاسف
تعذّبتُ عمراً من مخالفة الورى ... فياليتنى قد كنت غيرَ مخالف

تحببت لجذعى كيف ظلّ مقاوماً
فقد كان معروضاً لضرب العواصف

لقد قذفتنى بالمصيبات ثلةٌ ولم أتجنّب شرّ تلك القذائف
وكم شنّ ذو جهل على العلم غارة وكم كان ذبّى صادقاً فى مواقفى

— ٨ —

تجمّع يرمينى خميس عرمرم أأنكص كالمغلوب أم أتقدم
ولكننى اخترتُ التقدّمَ إنه لمن كان يستبقى الحياةَ لأسلم
وللعلم أنصارٌ وللجهل مثلُها ولكن أنصار الجهالة أعظم
لقد حاربونى بالمسبّة والخنا وحاربتُهم بالعلم والعلمُ مخذم
إذا كان ليلى قد تجهّم وجهُه فان صباحى بعده يتبسّم
يقصّ عليك الشيخُ منهم خرافةً فتحسب أن الشيخ فى النوم يحلم
تصرّم عهدُ الجهل فى الغرب كله ولكنه فى الشرق لايتصرّم

(بغداد) جميل صدقى الزهاوى

الحق هو القوة

للأستاذ ابراهيم ابراهيم على

ذهب السكوت فلا سكوت (شعبٌ ينام ولا يموت)
إن كنتَ من ذهب فانك من نسيج العنكبوت
الصمت يطلب عن خنًا لا عن صلاةٍ أو قنوت
والصمت يحسن فى التقا خر بالخزائن والبيوت
والصمت يُحمد فى التكا ثر بالكراسى والدسوت
وعن الأكاذيب المشا عة فى جهارٍ أو خفوت
والصمت أجمل فى المقا بر وهى واعظةٌ صموت
أما عن الحق المضا ع فليس يحتمل السكوت
لم تكتمون الحق عن أوقاته حتى تفوت ؟
لم تحبسون الحق فى أعماقكم كيما يموت ؟

* * *

الحق حر مطلقٌ مهما تعثر فى القيودْ
الحق صوت صائحٌ فى صرخةٍ أو فى همود
الحق ضوء نافذٌ مهما تكاثفت البرود
مهما تعددت السدود عليه فاخترق السدود

* * *

الحق ينطق (فتنةً) فى اللحظ حيناً والخدود
فى الشمس تشرق من أعا ليها على هذا الوجود
فى البدر . فى زهر الكوا كب . فى الرشاقة والقدود
فى البحر مضطرباً وفى أمواجه بعد الركود
فى الغصن كلل بالزهو ر وبالبنفسج والورود
فى الروض أيقظه الندى فى الصدر زانته النهود

* * *

الحق ينطق (قوةً) والحق أقوى ، لا مراءْ
فى البحر يضرب موجُه حتى ليرتعب الفضاء
فى الرعد . فى السيل المحطم . فى العواصف والبلاء
فى النار تفتك بالحديد ، كأنه النسج الخواء
فى ثورة البركان فى غضب الزلازل وهى ماء
فى سطوة الأيام تق هر بالمقادر والقضاء
فاذا الملوك أذلةٌ وإذا الممالك : لا وقاء

* * *

الحق ينصر نفسه إن خلّفته الأنبياء
وهو المظفّر دائماً فى الأرض (حقاً) والسماء
إن تنصروه فقد نصر تم أنفساً لكم هباء
أو تخذلوه فقد خذا تمْ هذه الروح الغباء
ولقد يصول الحق بالضعفى فيردى الأقوياء
ولقد يثير الحق شاةً تملأ الدنيا مضاء
فاذا الذئاب وهم حيا رى هاربون ، ولا نجاء

* * *

الحق حقٌ فانطقوا أو فاسكتوا فيها : سواء ! !

قليوب ابراهيم ابراهيم على